

الدكتور محمد البهري

الفتاوى
الموقف والشراح



الناشر
مكتبة وهيب
١٤ شارع الجمهورية بعباسين

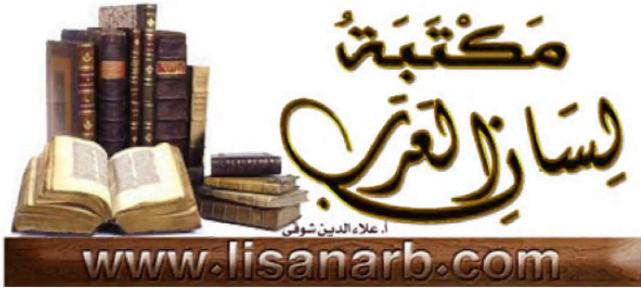
الدكتور محمد البني

الفارابي الموقف والشراح

يطلب من : مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية. مابدين

القاهرة - بيجون ٩٣٧٤٧٠



الطبعة الأولى

رجب سنة ١٤٠١ هـ - مايو سنة ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

* تتلمذ الفارابي على فلسفة « انطاكية » و « بغداد » . وهى فلسفة العصر الهليني الرومانى ، انتقلت من الاسكندرية ، بعد ما مضى عليها هناك قرابة سبعة قرون منذ الميلاد .

وفى الثلاثة قرون الاولى من هذه السبعة سادت فيها مدرسة الافلاطونية الحديثة . وكان طابعها الانتخاب من المدارس الفلسفية السابقة ، ومزج العناصر المنتخبة بعضها ببعض ، أو الشرح والتعليق على كتب القدامى السابقين . وبالأخص على ما لأفلاطون ، وأرسطو .

وقد أضيف الى مزج العناصر الفلسفية المنتخبة : نوع من الملاعبة بينها وبين المسيحية . وعلى نمط هذه الملاعبة انقسم المسيحيون الى : اليعاقبة ، والنساطرة والمكائين .

أما فى الفترة الأخيرة من السبعة قرون الميلادية لمقد قام فيها مايسمى بمدرسة الاسكندرية . وكانت خلفا للافلاطونية الحديثة على الترات الفلسفى فى هذه المدة . لكن مع اختلاف فى اتجاهها يغاير اتجاه سابقتها . فبعد أن كان اتجاه الافلاطونية الحديثة مركزا فى الناحية الميثافيزيقية من الفلسفة الاغريقية ، اى فى اتجاه ربما يتناثر مع المسيحية

أصبح اهتمام مدرسة الاسكندرية الفلسفية متجها الى بحث العلوم الرياضية والطبيعية من جهة ، مع كبت الناحية الميتافيزيقية ، أو مع اهمال دراستها على الأقل من جهة أخرى . ولهذا سادت الملاعة بين اتجاهها واتجاه المسيحية . وربما كان التقرب من الدين ورجاله هو العامل فى تعديل اتجاهها فى البحث وتحويله من الناحية الالهية الى العناية بالعلوم الرياضية والطبيعية .

والأفلاطونية الحديثة التى سبقت مدرسة الاسكندرية ، فى مدينة الاسكندرية كانت ترمى الى ايجاد وحدة من عناصر الفلسفة الاغريقية . والديانة الشرقية . ولهذا كان أفلوطين مؤسس هذه المدرسة يتمتع بنظرة احترام شعبية ، بجانب تمتعه بمنزلة رفيعة بين العقليين . وهذا الاتجاه لابد أن يوجد تنافرا بين الوثنية التى اختلطت بالفلسفة الاغريقية الالهية وبين المسيحية .

وهكذا : بعد أن نقلت الفلسفة من أثينا وروما . . الى الاسكندرية- انصب العمل الفلسفى فى الفترتين اللتين عاشت فيهما الفلسفة فى مدينة الاسكندرية فى السبعة قرون الأولى بعد الميلاد : على التوفيق والانتخاب . وهو توفيق أو انتخاب من مدارس فلسفية اغريقية . وضم المنتخب بعضه الى بعض فى وحدة واحدة ، مع ملامحة بينه وبين ديانة شعبية ، أو بينه وبين المسيحية .

وعندما نقل مركز الفلسفة من الاسكندرية . . الى انطاكية ، ثم الى بغداد كانت الفلسفة المنقولة عبارة عن مزيج :

١ - من عدة مدارس افريقية ، وبالأخص من مدرستى الأفلاطون ، وأرسطو .

٢ - ومن ديانة اخرى شرقية : او مسيحية .

واذا قلنا أن طابع الفلسفة المنقولة كان مزيجا من الأفلاطونية ، والأرسطية والرواقية ؛ والتصوف الشرقي لم يكن ذلك القول غريبا . غمى في الواقع تمثل كل هذه المدارس ، وكل الاتجاهات الثقافية مابين انسانية ، ودينية ، ووثنية .

وعندما وصلت الفاسفة عن طريق المدارس المسيحية في الشرق الأدنى ، الى المسلمين : وصلت اليهم وهي تجمع كل هذه العناصر ، لكنها وصلت اليهم مغلقة بغلاف آخر . وصلت اليهم وقد علتها مسحة صوفية شرقية ، وفيها تأييد « بوحدة الاول » وبساطته . ولهذا سر بها المسلمون اول الأمر ، وقدروا فيها « عصمة الحكمة » .

ومن أجل ذلك أيضا استبعدوا أن يكون لحكماء الاغريق مقصد يتعارض مع الاسلام طالما يقولون : « بالوحدة » في العلة الأولى وطالما يرون الزهد طريقا لسعادة الانسان وان أعطى ظاهر عباراتهم مايفيد هذا التعارض في بعض الأحيان .

ولان المسلمين استبعدوا هذا القصد من الاغريق حاولوا أن يوفقوا بين : أفلاطون ، وأرسطو ، عندما تبدو بينهما معارضة ؛ كما حاولوا التوفيق بين فلسفتها من جهة ، والاسلام من جهد أخرى ، أن أعطى ظاهر النصوص في الجانبين نوعا من التضارب بينهما .

ولم يكن المسلمون يومئذ على يقين من أن التضارب بين الآراء كان من خصائص الفلسفة المنقولة اليهم ، وقد كان كذلك خاصة للفلسفة الاغريقية .

كما لم يدروا : أن « واحد » هذه الفلسفة الذى يعتبر أصل الوجود :
معطل وغير فاعل . وأخيرا لم يعلموا : أن فى تصونها : تطرف يخالف
الزهد فى الاسلام ، فضلا عن أنها اختلطت بوثنية الديانات البدائية
فى صورة فكرية راقية . أى فى صورة مصقولة عليها سمة العقل ،
ولها طابع التعليل المنطقي »

✽ أسلوب الفارابى فى التوفيق :

والفارابى واحد من مشاهير الفلاسفة المسلمين الذين ظنوا
« الحكمة » فيما نقل اليهم من الفلسفة الاغريقية ، والذين اعتقدوا :
أن عظماء الحكماء من الاغريق يكاد يستحيل عليهم التضارب فيما
يقولون . . وأن حكمتهم يستحيل عليها أيضا : أن تختلف مع الاسلام .
علما بأن ما نقل اليهم ، نطوى فى واقعته على التضارب . فواقعه
ذو ألوان عديدة ، وفقط مغطى ببريق يخدع من لم يقف عليه .

ولحسن ظنه بالفلسفة الاغريقية . . وليقينه بعدم تضارب
الفلسفة مع الاسلام : دخل التنلسف على أساس « الجمع » بين
الآراء الفلسفية ، و « التوفيق » فيما يبدو منها مختلفا بعبء مع
بعض أو مع الاسلام .

وإذا كان كتابه : « الجمع بين رأى الحكيمين : افلاطون وأرسطو »
: يصور جهده وعمله العقلى فى الجمع بين الآراء الفلسفية على
العموم . فان كتابه الآخر : « فصوص الحكم » . . يعطى المثل على
توفيق الفارابى الخاص به ، والذى يتميز عن طريقته : عن أى فيلسوف
اسلامى آخر .

وإذا استعرضنا بعض النماذج في هذا الكتاب للتوفيق بين الفلسفة والاسلام : فانا نجد « توفيقه » عبارة عن « ضم » ما للاسلام . . الى ما للفلسفة في « اطار » واحد ، بحيث يبدو أن معنى الفلسفة هو معنى ما جاء في الاسلام ، في نهيه الخاص لنص الاسلام .

فاذا لم تكن هناك نصوص اسلامية تسعفه لتأييد الفلسفة في موضوعات يرى الأخذ برأى الفلسفة فيها تأييدا للاسلام ، او يرى أنه مضطر لقبولها لأنها من تنمة الفكرة الفلسفية ، يعمد الى الشرح والتأويل ، بحيث يلتقى الرأى الفلسفى مع المشكلة الاسلامية وان كانت هناك مشقة في هذا الالتقاء .

ولهذا كان عمل الفارابى في ملسفته هو التوفيق بمعنى الضم . . والشرح بمعنى التأويل . وما ينسب الى الفارابى هنا ينسب الى الكندى قبله ، كما ينسب الى ابن سينا بعده ، ولكن ظاهرة « الضم » عند الفارابى لها طابعها الخاص ، وهو ذلك الطابع البسيط الذى يودع في ذهن القارىء — فى يسر — أن الفلسفة والدين تعبيران من معنى واحد ، رغم ما قد يكون هناك من جفوة ، أو رغم ما يكون هناك من تضارب خفى بين الطرفين .

✽ فى مشكلة الوجود :

١ — غنى الحديث عن الممكن ووجوده . . فى الحديث عن الصائم والخالق له ، يقول :

« الماهية المعلولة لا يمتنع وجودها فى ذاتها ، والا لم توجد ،

ولا يجب وجودها بذاتها ، والا لم تكن معلولة .
 نهى في حد ذاتها ممكنة . وتجيب بشرط مبدئها . وتتمتع
 بشرط لا مبدئها .
 نهى في حد ذاتها هالكة . ومن الجهة المنسوبة الى مبدئها واجبة
 ضرورة . وكل شيء هالك الا وجهه « (١) . . .

فيختم الفارابي في هذا « الفص » حديثه عن الممكن في ذاته ، وأن
 وجوده ان وجد ، ويقاؤه ان يبقى بسبب واجب الوجود بذاته ، اذ من
 حيث ذاته غير قائم . . . يختم هذا : بتعبير القرآن عن المخلوقات وهى
 موجودات هذا العالم ، بقوله : « كل شيء هالك الا وجهه » . . .
 اى كل شيء هوفان وغير قائم من حيث ذاته واما الله فهو الباقي وحده .
 وهذا التعبير ورد في الآية الثامنة والثمانين في سورة القصص . وهى :

« ولا تدع مع الله الها آخر ،

لا اله الا هو ،

كل شيء هالك الا وجهه ،

له الحكم ، واليه ترجعون « (٢) . . .

والفارابي بهذا الضم يوفق بين رأى أرسطو في واجب الوجود ،
 وممكن الوجود ، من جهة ، وبين الله الخالق ، والمعوالم الأخرى

(١) الفصوص ١٢٧/١٢٨ من المجموع من مؤلفات الفارابي .
 طبع مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٩٠٧م — ١٣٢٥هـ .
 (٢) القصص : ٨٨ .

المخلوقة له من جهة أخرى وكأنه يقول : ان ماتشبر اليه هذه الآية من وجود العالم بسبب خلق الله اياه ووجود الله الخالق بذاته : لا يختلف عن وجود الممكن — في نظر أرسطو — بسبب واجب الوجود ، ووجود واجب الوجود الممكن بذاته . أحد الأمرين معلول للآخر في وجوده . وكما تؤيد الفلسفة رأى الاسلام فى الصلة بين الله الخالق والمخلوقات يؤيد الاسلام رأى الفلسفة فى الصلة بين واجب الوجود بذاته ، وممكن الوجود بذاته .

وهذا « الضم » لانسيابه ويسره يبدو وكان ماينسب الى الفلسفة وكذلك ماينسب الى الاسلام : من مصدر واحد وليس من مصدرين مختلفين ، مع انهما كذلك . اذ الله فى الاسلام فاعل وخالق . ولكن واجب الوجود بذاته فى الفلسفة الارسطية معشوق لغيره ، وليس فاعلا ، فضلا عن أن يكون خالقا .

✽ فى التذليل على وجود الله :

٢ — وفى التذليل على وجود الله يستعر الفارابى من الاملاطونية الحديثة طريقها فيما يسمى « بالجدل النازل » . . « والجدل الصاعد » . . وفى الحديث عن ذلك يستأنس بأية قرآنية ، وهى قوله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » (١) . .

ونص حديثه : « فص » :
« لك ان تلحظ عالم الخلق فترى فيه آيات الصنعة ،
ولك ان تعرض عنه ، وتلحظ عالم الوجود المحض ، وتعلم أنه
لا بد من وجود الذات .

(أ) فان اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد ،

(ب) وان اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل .

تعرف بالانزول : أن ليس هذا .. ذلك ،

وتعرف بالصعود : أن ليس هذا .. هذا ،

« سفرهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق »

أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) ..

والفارابي كأنه يقول : هناك دليان على وجود الله :

الدليل الأول :

ان ننظر الى المخلوقات أو الى مايسميه هو : بعالم الخلق وهو
عالم يأتي بعد عالم الامر أو عالم الملائكة ، وقبل هذا يكون عالم
الربوبية أو عالم الوجود الالهي — فتشهد في المخلوقات صنعة تدل
على صانع لها وهذا الصانع هو الله تعالى . وهذا الدليل هو دليل
تصاعدي : تنتقل من عالم الخلق .. الى الأعلى وهو عالم الوجود
الالهي .

الدليل الثاني :

ان تنظر الى « الوجود المحض » .. اي الى الوجود من حيث هو

(١) المجموع : ص ١٣٩ .

وجود ، فتصل من هذه النظرة الى أن هناك واجب الوجود لذاته . وهو الله تعالى . وهو السبب في وجود الممكن ووجوبه . والممكن هو ما بعد الله من عوالم .. هو عالم الأمر أو الملائكة .. وعالم الخلق أو المخلوقات وبالأخص الانسان .

وهذا الدليل على وجود الله دليل تنازلي . لأنه من وجود واجب الوجود بذاته : يعرف عالم المخلوقات . والعقل اذن في هذا الدليل ينتقل من الأعلى وهو واجب الوجود بذاته ، أو الله .. الى الأدنى وهو وجود واجب الوجود بغيره ، أو المخلوقات .

ثم يجعل الآية التي استشهد بها هنا تعطى الطريقتين في الجدل وهما : الصاعد .. والنازل ، على السواء ، فتقوله :

« سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق »

.. تشير في تقديره الى الجدل الصاعد . فأمارات الله في عالم المخلوقات ، وفي النفوس البشرية : تعطى الدليل على وجود الله الحق . فهي صنعة . وكل صنعة لابد لها من صانع . والصانع هو الله تعالى . فهو دليل من الأدنى على الأعلى .. دليل المخلوقات على الله . وعالم المخلوقات تجل لوجود الله فكأنه هو .. هو .

وقوله :

« أو لم يكف بريك أنه على كل شيء شهيد » .. تشير في تقديره . أيضا الى الجدل النازل . وهو الاستدلال بوجود الله على وجود عالم المخلوقات فالله هو الخالق . وأماره خلقه في وجود هذا العالم . فوجوده

.شاهد على وجود غيره . وهذا دليل من الأعلى على الأدنى . والوجود الأعلى غير الوجود الأدنى لـبس هذا .. ذاك .

وهذا التركيب الفلسفى للفارابى يتكون من عناصر ثلاثة :

(أ) العنصر الأرسطى . وهو عنصر الواجب بذاته ، والممكن بذاته ، وصلة كل منهما بالآخر .

(ب) العنصر الأفلاطونى الحديث . وهو عنصر توجيه الاستدلال بكل منهما على الآخر : على أن يكون مرة من الأعلى الى الأدنى .. ومرة أخرى على العكس : من الأدنى الى الأعلى . مع تسمية وجه منهما بالجدل النازل ، والآخر بالجدل الصاعد .

(ج) العنصر الإسلامى ، وهو ماجاء فى الآية هنا .

والتوفيق الذى ينسب اليه هنا هو احتواء الآية بعمله الفلسفى على مضمون العنصرين الأولين . وكان هذين العنصرين يكونان معنى الآية القرآنية .. وكان القرآن فى اعتباره يترجم عن الفلسفة . وعملية التوفيق هى : عملية « مقدم » .. « وتال » فى قياس منطقى أرسطى .

* * *

* فى خلق الله للعالم :

٣ — وفى خلق الله للعالم يحكى الفارابى النمط الأرسطى فى صدور الموجودات فيقول :

« لحظت « الأحدية » نفسها فكانت قدرة .

فلحظت القدرة فلزم العلم الثانى المشتغل على الكثرة . وهناك عالم الربوبية .

يلياها : عالم الامر يجرى به القلم على اللوح ، فتكثر الوحدة ،
حيث « يفشى السدرة ما يفشى » (١) ، ويلقى الروح والكلمة ،
وهناك عالم الأمر .

يلياها العرش ، والكرسى ، والسموات ، وما فيها : كل يسبح
بحمده ، ثم يدور على المبدأ . وهناك عالم الخلق : يلتفت منه الى
عالم الامر ويأتونه كل فردا « (٢) . . » وكلهم آتية يوم القيامة
فردا « (٣) . . »

فارسطو يرى : أن واجب الوجود بذاته : عقل . . وأن صدور
الممكن عنه يكون عن طريق التعقل . وواجب الوجود بذاته واحد من
كل وجه ، والكثرة في الوجود تكون بعد ذاته . إذ انها كثرة الممكن .

وطريق صدور الكثرة في الممكن عن واجب الوجود الواحد من
كل وجه هو : أن واجب الوجود باعتباره أنه عقل : يعقل ذاته أولا .
وعن تعقله لذاته الواحدة ينشأ « العقل الأول » . .

وعندئذ يكون هناك مع واجب الوجود بذاته : واجب الوجود
بغيره ، وهو العقل الأول .

والعقل الأول يعقل واجب الوجود بذاته ، ويعقل ذاته كذلك .
وعن طريق تعقله لواجب الوجود بذاته ينشأ عقل ثان . وعن تعقله
لذاته ينشأ ملك أول .

١٣٦ ، ١٣٥ : ص ١٣٦ ، ١٣٥

١٦ : النجم

١٥ : مريم

والعقل الثانى يعقل العقل الأول قبله ، ويعقل ذاته ، كما يعقل
الفلك الأول . وعن طريق تعقله للعقل الأول ينشأ عقل تهالك .
وعن طريق تعقله لذاته تنشأ نفس الفلك الثانى . وعن طريق تعقله
للفلك الأول ينشأ جرم الفلك الثانى .

ويستمر الأمر فى نشأة العقول ، والافلاك بنفوسها وأجرامها
على هذا النحو : العقل يتعقله عقلا قبله ينشأ عنه عقل آخر . .
ويتعقله لذاته ينشأ عنه نفس فلك آخر جديد . . ويتعقله للفلك
قبله ينشأ جرم الفلك . . الى ان تصل العقول الى العقل الفعال ،
وتصل الافلاك الى فلك القمر .

وهنا ينتهى عالم العقول عند أرسطو . وهو عالم ينشأ عن واجب
الوجود بذاته ، باعتبار أنه عقل . والموجودات التى وجدت حتى
الآن بنهاية العقول : تكون نوعين من الوجود . . تكون :

أولا : نوع واجب الوجود بذاته ، وهو واحد أحد .

وثانيا : نوع واجب الوجود بغيره ، وهو الممكن الذى يتمثل فى
عالم العقول والافلاك . .

وهذان النوعان يختلفان كل الاختلاف . فبينما أحدهما لا يقبل
الكثرة بحال ، اذا بالآخر يقبل الكثرة اللانهائية . فضلا عن أن
أحدهما لا يحتاج فى وجوده الى غيره ، بينما الآخر يحتاج فى وجوده أو
وقوعه بالفعل الى غيره .

وآخر عقل فى عالم العقول — فى تصور أرسطو — وهو العقل
الفعال : يتصل بالانسان فى عالم المخلوقات بعد العقول ، ويفيض
عليه بالآثر .

والفارابى فى استعارته للنمط الأرسطى فى طريق وجود الموجودات بعد الله ، باعتبار أنه حريص على اعتبار الإسلام : يعبر عن هذا النمط الأرسطى بتعبير آخر يوفر للإسلام ، ما جاء فيه من صفات الله ، وبالأخص صفتى : القدرة والعلم . . وما جاء فيه كذلك خاصة بالملائكة ، بعد أن يشارك أرسطو فى وحدة الموجود الأول . وهو واجب الوجود بذاته عنده ، والله عند الفارابى ، فعبر بلفظ : « لحظ » بمعنى : علم ، ، بدلا من لفظ : « عقل » الذى استخدمه أرسطو . لأن الفارابى لا يستطيع من الوجة الإسلامية أن يطلق على « الله . . » : « عقلا » . . كما صنع أرسطو . ولذا يقول : « لحظت الأحدية نفسها فكانت قدرة » . . والمراد بالأحدية هو الله الواحد . والمعنى : أن الله لحظ وعلم ذاته ، فنشأت قدرته على الخلق والإيجاد . كما يقول : « ولحظت القدرة (أى ذات الله) غلزم العلم الثانى المشتغل على الكثرة وهناك عالم الربوبية » . . أما العلم الأول فهو علم الله لذاته . ومن الله وقدرته ، وعلمه لذاته : يتكون ما يسميه بعالم الربوبية . وهو يساوى منطقة الواجب بذاته عند أرسطو ، وهو واحد وحدة مطلقة من كل وجه . والفارابى كان مضطرا الى أن يخالف أرسطو فى مضمون منطقة الله . لأن الله كما ورد فى القرآن له صفات عديدة . منها : القدرة ، والعلم . ولكنه لم يذكر بقية الصفات لله كى يلتزم نهج أرسطو فى وجود الممكن بعد واجب الوجود بذاته مباشرة ، بناء على تعقله لذاته . غالكثرة فى الممكن بعد واجب الوجود بذاته ، بناء على تعقله ، ابتداء بالعقل الأول . الا أن هذه المساوطة بين الفارابى وأرسطو لو أخذت حريا لكانت قدرة الله « حادثة » أو نشأت بعد ذاته لا فى زمان . لأنها نشأت من علم الله لذاته ، كما كان العقل الأول فى نظر أرسطو

اجادئا . لانه نشأ بعد تعقل واجب الوجود بذاته ، لذاته . وليس
هناك في الاسلام من يقول بحدوث صفات الله ، اذ ان العقليين في
الجدل الكلامي يرون الصفات : عين الذات . والذين يقولون بانها
غير الذات ، يرونها قديمة قدم الذات .

وهذا المأخذ قد يكون احدى نتائج « التوحيق » بين الفلسفة
والاسلام الذي يمارسه الفارابي هنا في كتاب : « فصوص الحكم » .
ثم يستطرد الفارابي فيذكر ما في الاسلام — في تصويره — مساوقا
لعالم العقول الممكنة ، بعد واجب الوجود لذاته ، عند ارسطو .
وما يراه هنا مساوقا للعقول هو : الملائكة ، والملائكة عنده تكون بعد
الله : عالما آخر افضل من عالم الانسان ، كما تكون العقول — عند
ارسطو — الى العقل الفعال ، عالما آخر افضل من عالم الانسان ،
بعد واجب الوجود بذاته . فيقول : « يليها عالم الامر يجرى به القلم
على اللوح فتكثر الوحدة ، حيث يغشى السدرة ما يغشى ، ويلقى الروح
والكلمة . وهناك عالم الامر . . وسدرة المنتهى هي الحد الفاصل
في نظره بين عالم الملائكة وعالم الانسان ، وهي الملتقى الذي التقى فيه
الرسول عليه السلام بجبريل ، من عالم الخلق الى عالم الملائكة :
وقد اشار بهذا التعبير الى الآية الكريمة في قول الله تعالى :

« ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى ،
عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى ،
ما زاغ البصر ، وما طفى » (١١) . .

والمعنى الذى يقصده الفارابى من ضم هذه الآية الى ما يتحدث به عن عالم الأمر : هو أن يؤكد أن هناك فصلا بين ما يسميه بعالم الملائكة أو عالم الأمر ، وبين عالم الانسان الذى يعيش فيه الرسل عليهم الصلاة والسلام . وهو فصل فى الدرجة والقيمة قبل أن يكون فصلا للتمييز بين عالمين مختلفين فى الطبيعة والنشأة ، كما يريد أن يذكر : أنه عند سدرة المنتهى يلتقى عالم الروح والسر والخفاء بعالم الظاهر والشاهد الذى هو عالم الانسان .

والملائكة عنده : عقول مجردة مساوقة للأرسطية . واتصالها بالانسان العادى بالرؤية المنامية . أما اتصالها بالرسول ففى اليقظة . ويعبر عن ذلك فى قوله :

« الملائكة صور علمية . جواهرها علوم ابداعية . ليست كالواح فيها نقوش أو صدور فيها علوم .

بل هى علوم ابداعية قائمة بذواتها . تلحظ الأمر الأعلى فينطبع فى هوياتها ما تلحظ وهى مطلقة .

لكن الروح القديسة (وهى روح الرسول) تخاطبها فى اليقظة ، والروح البشرية تعاشرها فى النوم » (١) . . .

ويكمل الفارابى خلق الله للعالم بحديثه عن عالم الخلق — بعد عالم الربوبية ، وعالم الأمر — فيقول فيها ما نقلناه عنه سابقا فى قضية الخلق :

(١) مصوص الحكم : ص ١٤٦ .

« يليها العرش ، والكرسى ، والسموات وما فيها . كل يسبح بحمده ثم يدور على المبدأ (ويعنى بالمبدأ : مبدأ الوجود . وهو الله)

وهناك عالم الخلق . يلتفت منه الى عالم الامر ويأتونه كل فردا (اى مجردا عن البدن) « . . ويشير بقوله : ويأتونه كل فردا : الى الآية : « وفرثه ما يقول ويأتينا فردا » (١) . . ولكن معنى كونه « فردا » فى الآية : أن الكافر الذى يعتز فى دنياه بعصبيته وقوته ، وبماله الوثير سيبعث يوم القيامة ويأتى ربه مجردا عن القوة والمال معا . أما ما يقصده الفارابى بقوله : ويأتوه كل « فردا » : أن الناس جميعا ستتجرد عقولهم وأرواحهم من أبدانهم بالموت وتدخل عالم العقول بعد أن تلتفت اليه فى حياتها . ولكى يجعل الغاية من خلق السموات وما فيها ، متأثرا بالدين ، هى : عبادة الله والتسبيح بحمده يقول : « كل يسبح بحمده » ثم يدور على المبدأ « اى أن عبادة السموات يتجلى فى دورانها حول الله . على نحو ما يشرح ذلك فى « نصوص » خاص . اذ يقول :

« صلت السماء بدورانها ،

والأرض برجمانها ،

والماء بسيلانه ،

والمطر بهطلانه ،

وقد تصلى له ، ولاتشعر ، ولذكر الله اكبر » (٢) . .

(٢) فصوص الحكم : ص ١٤٤ .

(١) مريم : ٨٠

وخلق العوالم الثلاثة الآن ، وهى عالم الربوبية الذى يتكون من
 الله وصفاته وبالأخص القدرة والعلم .. وعالم الملائكة أو عالم الأمر
 .. وعالم الانسان أو عالم الخلق : يساوق فى نظر الفارابى :
 ما يؤثر عن أرسطو من دائرة واجب الوجود بذاته .. ومن دائرة
 العقول والأفلاك بعده الى العقل الفعال وأخيرا من دائرة الانسان .
 والفارق فقط هو :

أن الفارابى يقحم ما للدين فى هذه المساوطة .. فيقحم « القدرة »
 التى لله فى الاسلام ، والتى بها الخلق والايجاد .. كما يقحم الملائكة
 بعد أن يشرحها بأنها جواهر علمية .

بينما أرسطو لا يصف واجب الوجود بذاته عنده بالوحدة ..
 والوحدة فى نظر عين ذاته . ولا يعنيه : أن يصفه بالقدرة الخالقية .
 لأن عملية وجوده العالم أو الكثرة الممكنة فى نظره هى عملية عشق :
 هناك عاشق ، وهناك معشوق وليست عملية خلق وايجاد .. هى
 عملية تصويرية تخيلية شعرية ، وليست عملية واقعية .. هى
 عملية تبرير لما وجد ، وعلى نحو ما كان متصورا فى وثنيه الاغريق .



* فى مهمة الانسان فى الحياة :

٤ - وفى مهمة الانسان فى الحياة الدنيا يرى الفارابى : التجرد ،
 والتحرر من الحجاب . وهو البدن وغرائزه . فيقول :
 « ان لك منا غطاء فضلا عن لباسك من البدن ،
 فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد ، فحينئذ تلحق ،
 فلا تسال عما تباشره : فان المت غويل لك ، وان سلمت
 غطوبى لك ،

وانت في بدنك تكون كائنك لست في بدنك ، وكائنك في صقع
الملكوت ،

فترى ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على
قلب بشر .

فاتخذ لك عند الحق عهدا . . الى ان تأتية قردا « (١) . .

فاذ يرغب الفارابي الانسان ، وهو من عالم الخلق ، أن يرتفع
بروحه الى عالم الأمر ، فيتجرد عن شهوات البدن في حياته ، حتى
يحس انه ليس في بدن ، ويعاهد الله على أن يأتيه وحده خاليا من
غطاء بدنه يوم يموت . . اذ ينصح الفارابي بذلك فانه يسلك مسلك
الافلاطونية الحديثة عن طريق « جدلها الصاعد » . . وهو يوحى
للانسان بالابتعاد عن المادة كمصدر للبشر ، والتي هي في نظر
هذه المدرسة اصل العالم المحسوس المشاهد ، بأن يكبت شهوات
البدن ، بحيث يعزل اثره تماما على الروح ، فيبقى ، بينما تبقى
الروح فتصعد الى عالم الأرواح والنفوس فوق هذا العالم المادى .
وما تطلبه الافلاطونية الحديثة هنا بجدلها الصاعد يمثل عنصر التصوف
الهندي الذي مزجته مع العناصر الفلسفية الاغريقية في نظامها
الفلسفى . كما كان له اثره على المسيحية من قبل في ابتداع الرهبنة . .

ولكن الفارابي لكى يؤكد للمسلم أن هذا الطريق يلائم الاسلام ،
فانه يضيف الى مائتله عن الافلاطونية الحديثة : حديثا يروى عن
الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في وصف الجنة في قوله : « فيها مالا

عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر « (١) . . وبذلك يجعل عالم الأمر وهو فوق عالم الملائكة كما يرى وفوق عالم الخلق أو عالم الانسان : العالم الذى تسكنه النفوس المطهنة فى جنة الله فيه .

وهكذا : الزهد الى درجة احساس الانسان ، بتجرده عن البدن وعدم سيطرة اية غريزة فيه على ذاته ، مع ممارسة ذلك ممارسة مستمرة تنفيذا لعهد مع الله : هو فى نظر الفارابى الطريق الموصل الى الجنة . وهى المقر فى عالم الأمر الذى ينتهى مع عالم الخلق بسدرة المنتهى . ويروى فى هذا الشأن حديث فى المعراج : « لما بلغ رسول الله سدرة المنتهى ، قال : انتهى اليها ما يعرج من الأرض ، وما ينزل من فوق » (٢) . .

✽ شرح الفارابى :

✽ والفارابى الموفق بين عناصر الأناطونية الحديثة من جهة ، والاسلام من جهة أخرى باضافة بعض النصوص القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية الى مايقدم به من الفكرة الفلسفية : يقوم كذلك يملأمة أخرى جديدة بين الفلسفة الاغريقية ككل وبين الاسلام عندما يشرح بعض العقائد الاسلامية بما يميل بها نحو بعض الفكر الفلسفية .

✽ النبوة :

١ — فنى النبوة يتحدث الفارابى :

(١) كتاب الترغيب ج ٤ ص ٥٥٨

(٢) كتاب التاج : ج ٤ ص ٢٥٥

أولا . . عن النفس الانسانية . . فيضعها موضع الصلة بين عالمين :
عالم الأمر . . وعالم الخلق . فهى بالروح تفتى الى عالم الأمر ، بينما
بالجسم ينتمى الانسان الى عالم الخلق فيقول للانسان :

« انت مركب من جوهرين : أحدهما شكل ، مصور ، مكيف ، مقدر ،
متحرك ، ساكن (ويقصد به الجسم أو البدن) .

والثانى مبين للأول فى هذه الصفات ، غير مشارك له فى حقيقة
الذات : يناله العقل ، ويعرض عنه الوهم .

فقد جمعت (أيها الانسان) من عالم الخلق ، ومن عالم الأمر -
لأن روحك من أمر ربك ، وبدنك من خلق ربك « (١) . .

ويتحدث ثانیا بعد ذلك : عن نفس النبى . . فيذكر أنها مزودة
بخاصة تتميز بها عن النفس العادية . اذ هى موهوبة بالتأثير على عالم
الخلق الأكبر وهو عالم الانسان كله . بينما نفس الانسان العادية
يقتصر تأثيرها على ما لها من بدن فقط .

وبالخاصة التى تتميز بها نفس النبى يمكن لها كذلك أن تتلقى عن
الملائكة فى عالم الأمر ما تبلغه الى عامة الناس فى عالم الخلق . فنفس
النبى كما لها القدرة على التأثير فى عالم الخلق ، لها القدرة أيضا على
استطلاع ما فى اللوح المحفوظ فى عالم الأمر عن طريق تبليغ الملائكة .
وهو فى ذلك يقول فى عقب النص السابق :

(١) المجموع ص : ١٤٥ .

« النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية ، تدعن لها غريزة عالم الخلق الاكبر كما تدعن لروحك غريزة عالم الخلق الاصفر ، فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبله والعادات ، ولا تصدا مراتها ، ولا يمنعها شئ عن انقصاص ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذى لا يبطل .

وذوات الملائكة التى هى الرسل ، فتبلغ ما عند الله الى عامه الخلق » (١) ويضع عندئذ نفس النبى وضع النفس الكلية فى نظام انطولين المصرى المكون من :

(أ) العلة الاولى ، او الخير المطلق .

(ب) العقل .

(ج) النفس الكلية . وهى الواسطة بين عالمين : عالم الخير والعقل . . وعالم الانسان او عالم الحس والشاهد .

ووضع النفس الكلية عنده اذن حلقة الاتصال . ولذا فهى تتجه الى ما فوقها ، كما تتجه الى ما تحتها . وهى بذلك تتلقى من فوق ، كما تؤثر فى تحت .

وكذلك نفس النبى تتلقى عن طريق الملائكة فى عالم ما فوقها ، وهو عالم الامر ، ما ينطبع فيها كعقول من عالم الربوبية ، وتلقى به وتبلغه الى الناس فى عالم الخلق . فتتأثر ، وتؤثر .

وفتأثيرها فى عالم الخلق بجانب التبليغ ، قد يكون غير عادى : « فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبله والعادات » .

(١) المصدر السابق : ص ١٤٥

* الوحي :

٢ - وعن « الوحي » وكيف يتم : يتحدث الفارابي بقوله :
« الملائكة صور علمية . جواهرها علوم ابداعية قائمة بذاتها .

تلحظ الامر الاعلى (وهو ما في عالم الربوبية) فينطبع في
هوياتها ما تلحظ وهي مطلقة .

لكن الروح القدسية (وهي روح النبي) تخاطبها في اليقظة (اى
تخاطب الملائكة) .

والروح البشرية (وهي الروح العادية للانسان) تعاشرها في
النوم « (١) .

فالوحي نقل ما في عالم الربوبية الى الرسول بين الناس ، عن
طريق الملائكة . والملائكة عقول ينقش فيها ما في اللوح المحفوظ . وما
لدى الملائكة من علم ينطبع في نفس النبي . و نفس النبي بالنسبة لما
لدى الملائكة من علم أشبه بمرآة تحكى هذا الذى نقل اليها وانطبع فيها .
وهي مجلوة دائما لاتصدأ بحال . ولكن مع هذا الاتطباع فيها هي يقظة .

وهكذا الوحي يتكون من عدة مراحل :

المرحلة الأولى : أن علم الله ثابت في اللوح المحفوظ في عالم
الربوبية .

(١) المصدر السابق : ص ١٤٦

المرحلة الثانية : أن ينتقل علم الله في اللوح المحفوظ الى الملائكة ،
بأن تلحظه الملائكة فينتطبغ في هوياتها ما تلحظ . فهي عقول أو صور
علمية وجواهرها علوم ابداعية . والعلوم الابداعية هي ما في اللوح
المحفوظ لصاحب الإبداع . وهو الله .

المرحلة الثالثة : أن ينتقل علم الملائكة الى الرسول في حال يقظته ،
فينتقش في نفسه . ونفسه عندئذ أشبه بمرآة لاتصدا : تعكس ما
يعرض عليها في دقة . ونفس الرسول خاصة هي التي تتلقى في حال
اليقظة بالملائكة . أما النفس العادية فتعاشرها في النوم .

المرحلة الرابعة : أن يبلغ الرسول علم الله الذي وصله الى « عامة
الخلق » .

فقد استعار الفارابي في هذا الشرح : « ثالوث الأفلاطونية
الحديثة » وهو : العلة الأولى .. والعقل .. والنفس الكلية . وجعلها
ثلاثة عوالم : عالم الربوبية .. وعالم الملائكة .. وعالم الخلق تتراسه
نفس الرسول .

كما استعار من أرسطو : العقول . واستعار وضعها في ترتيب
الوجود وهو الوضع الثاني بعد « الأول » أو واجب الوجود بذاته .
وجعل الملائكة في الاسلام هي هذه العقول ، تكون عالما خاصا بها ، وهو
عالم الملائكة .

وبجانب ما أخذه من الأفلاطونية الحديثة ، وهو النفس الكلية ،
جعل نفس الرسول والنبى مساوقة لها . بينما النفوس الجزئية عداها
تساوق النفوس البشرية ، في عالم الخلق .

ويزيد في شرح اتصال الملك بالرسول ، عند الوحي اليه بما يقربه
من الوارد في بعض الاحاديث الشريفة في الاسلام ، فيقول :

« للملائكة ذوات حقيقية .

ولها ذوات بحسب القياس الى الناس .

فأما ذواتها الحقيقية فأمرية (أى تنتسب الى عالم الأمر) .

وانما يلاقيها من القوى البشرية : الروح الانسانية القدسية

(وهى روح النبى)

فاذا تخاطبتنا : انجذب الحس الباطن الظاهر (فى الروح :

القدسية) الى « فوق » (وهو عالم الأمر) فيتمثل لها من الملك صورة

بحسب ما تحتلها فترى ملكا على غير صورته ، وتسمع كلامه بعد

ما هو وحي .

والوحي لوح من مراد الملك للروح الانسانية بلا واسطة . وذلك

هو الكلام الحقيقى .

لماذا عجز المخاطب عن مس المخاطب بباطنه مس الخاتم التسمع

تجعله مثل نفسه ، اتخذ فيما بين الباطنين سفيرا من الظاهرين فتكلم

بالصوت ، أو كتب أو أشار .

وإذا كان المخاطب روحا لاجباب بينه وبين الروح ، اطلع عليه

اطلاع الشمس على الماء الصائى فانتقش منه . لكن التفتش فى الروح

من شأنه أن يسبح الى الحس الباطن اذا كان قويا ، فينطبع فى القوة

المذكورة فيشاهد ، فيكون الموحى اليه يتصل بالملك بباطنه ، ويتلقى وحيه الكلى بباطنه . ثم يتمثل للملك صورة محسوسة ، ولكلامه أصوات مسموعة فيكون الملك والوحى يتأدى كل منهما الى توافه الحركة من وجهين . ويعرض للقوى الحسية شبه الدهش وللموحى اليه شبه الغشى ، ثم يرى الموحى اليه ويشاهد « (1) » . .

ويعتقد الفارابى انه بذلك يشرح وحي الملك الى الرسول بعلم الله شرحا فلسفيا او منطويا . ولكنه شرح قائم على افتراض : أن الملائكة عقول . . وعلى أنها مع ذلك تستطيع التشكيل في صور عديدة . . وأن اللقاء بينها وبين الرسول لقاء روحى او باطنى .

بينما ان الدخول في أن الملائكة عقول يحد من تشكلها ، او يحول دونه فالعقل ليست له وظيفة في الفلسفة سوى الإدراك . اللهم الا اذا تصد الفارابى بالعقل : الموجود اللامادى . ولكن عندئذ لا يتشكل في صور مادية يراها الموحى اليه .

وبعض ما ورد في كتب السيرة من أن رسول الله سمع — وهو خارج من غار حراء — صوتا من السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل قال : فرفعت رأسى الى السماء أنظر ، فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفتم أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرفت وجهى عنه في أعناق السماء . قال : فلا أنظر في ناحية الا رأيتته كذلك .

(1) فصوص الحكم : ص ١٦٢ .

الخ « (١) .. مثل هذا الذى يوجد فى كتب السير هو الذى يحمل الفارابى على أن يأخذ فى جانب الملائكة : القدرة على التشكل فى صور مادية عديدة . لماذا التزم كذلك أن يأخذ مما ورد فى الأرسطية من فكرة العقول بعد واجب الوجود بذاته ، مساواة لها : فإنه لا شك سيواجه على الأقل لبسا ، أن لم يكن تناقضا فيما يوفق بين أطرافه .

القضاء والقدر :

٣ — وعن القضاء والقدر : يذكر الفارابى الفرق بينهما أولا . فيرى أن القضاء هو مضمون أمر الله كله .. وأن القدر هو تنزيله فى تدرج ، وحصوله فى الوجود تباعا ثم يوضح كيفية ذلك ، ويضطر الى قبول اعتبار مسميات ما ورد فى الدين من أسماء مثل : القلم .. واللوح .. والكتابة : عقولا . لأنها تتبع عالم الأمر الذى هو لنوع عالم الخلق ويقول :

« لاتظن أن القلم آلة جمادية »

واللوح بسط مسطح ،

والكتابة نقش مرقوم ،

بل القلم ملك روحانى .. واللوح ملك روحانى .. والكتابة تصوير

الحقائق .

فالقلم يتلقى ما فى الأمر من المعانى .. ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية فينبعث القضاء من القلم .. والتقدير من اللوح .

(١) السيرة النبوية لابن هشام . اخراج الاستاذ مصطفى السقا .
الطبعة الثانية ص ٢٣٧

اما القضاء فيشتغل على امره الواحد . . والتقدير يشتمل على
مضمون التنزيل بقدر معلوم . ومنها يسبغ الى الملائكة التي في
السموات . ثم يفيض الى الملائكة التي في الأرضين ، ثم يحصل المقدر في
الوجود « (١) .

ولا شك أن شرح الفارابي هنا للقضاء والقدر على النحو الذي يذكره
لا يساعد اطلاقا على فهم الدين ، فالدين للعامة والخاصة على السواء .
ولكن الدين هنا بشرح الفارابي يكاد يكون وقفا على فهم بعض الخاصة
الذين يستعينون في فهم ما يذكره هنا بدراسة دقيقة للعناصر الفلسفية
التي تجمعت في اطار واحد واقبل عليها الفارابي يختار منها ما يريد .
كما يستعينون بموقف سليم مما ورد في الدين من أسماء ومسميات.
لموجودات عليا . وهو موقف التوقف عن تنصيل ما لا يستطيع الانسان
تنصيله بحكم محدوديته بالمحسوس الذي يدركه بحواسه .

* السـراى :

والفارابي في شرحه لما يشرحه من قضايا دينية هنا : كالوحى . .
والنبوة . . والقضاء والقدر : لايفي الاساءة الى الدين . وانما يحاول
أن يؤيدها بالفلسفة ، كما يدعى دائما من الموفقين بين الفلسفة والدين
في اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . . ولكن الايمان وحده هو السبيل
الى الدعوة والى قبول مثل هذه القضايا . وهو الطريق الأسلم في تجنب
الحرية والمثاهات التي يقع فيها تصور الانسان وتخيالاته اذا ماتناولها
بالعمل العقلى .

(١) لمصوص الحكم : ص ١٦٤

ان اقبال الفارابى على الفلسفة التى وجدت فى بغداد ، بعد
:نطائكية ، كان اقبالا مندعما فيه بحسن الظن « بالحكمة » . . جعله
يتصور : ان من الخير والبركة للاسلام ان يلائم بينه وبين مبادئها أو
افكارها الرئيسية . ولكن فى الوقت ذاته لم يستطع ان يقيم هذه
الفلسفة تقيما موضوعيا قبل ان يحاول الملاعبة والتوفيق بينها وبين
الاسلام ، أو قبل ان يحاول شرح بعض قضايا الاسلام الغيبية شرحا
فلسفيا . اذ لو قيم هذه الفلسفة من الوجهة الموضوعية لانكشف له :
انها « رثيئة » فى صورة عقلية غلتت بها . وكتابنا : الجانب الالهى من
التفكير الاسلامى (١) . . يوضح القيمة الموضوعية للمدارس الفلسفية
التى نشأت فى اثينا ، ومرت بروما ، واستقرت فى الاسكندرية بعض
قرون ثم انتقلت الى سوريا ، فبغداد ، كما يوضح اثر العمل الفلسفى
لفلاسفة المسلمين على الاسلام فى تعقيد عقيدته واحاطتها بمناقشات
تبعد عن روح الدين والعمل بالاسلام كمنهج لحياة الانسان .

واكى يتف القارئ على صورة من مناقشات الفارابى الغيبية
نعرض لمفهوم ررد فى القرآن ، وارتبطت به عدة تصورات سابقة على
الاسلام اغررها ينتمى الى الكهانة أو الى الخرافة . . وهو مفهوم :
« الجن » . . وهى مناقشات أو توضيحات تزيده غموضا .

نقد جاء فى كتابه : « المسائل الفلسفية والاجوبة عنها » (٢) . .
انه سئل : يما رآه بعض العوام فى معنى : « الجن » . . وسأله عن

(١) الطبعة الخامسة : بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م دار الفكر .
(٢) صفحة : ٩٠

ماهيته .. فقال : « الجن » : حى .. غير ناطق .. غير مائت .. ،
وذلك على ما توجبه القسمة .. (العقلية) التى يتبين منها حد
الانسان ، المعروف عند الناس . اعنى : الحى الناطق المائت . وذلك
أن الحى :

- ١ — « منه ناطق .. غير مائت .. وهو الملك .
- ٢ — ومنه غير ناطق .. مائت .. وهو البهائم .
- ٣ — ومنه غير ناطق .. غير مائت .. وهو الجن .

فقال السائل : الذى هو فى القرآن مناقض لهذا . وهو قوله :
« قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا » (١) ..

واذى هو غير ناطق : كيف يسمع ؟ .. وكيف يقول ؟ .

فقال الفارابى : ليس بمناقض (١) وذلك أن السمع ، والقول ،
يمكن أن يوجد للحى من حيث هو حى . لأن القول ، والتلفظ : غير
التمييز الذى هو النطق . وترى كثيرا من البهائم لا قول لها وهى حية .
وبصوت الانسان مع هذه المقاطع هو له طبيعى من حيث هو حى بهذا
النوع . كما أن صوت كل نوع من أنواع الحى لا يشبه صوت غيره من
الأنواع . كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع ، الذى للانسان مخالف لأصوات
غيره من أنواع الحيوان .

(١) الجن : ١ .

وأما قولنا : غير مائت (أى لا يجوز عليه الموت) فالقرآن يدل.
بذلك قوله تعالى : « قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون » قال فانك
من المنظرين « (١) » .

فالفارابى يشرح « الجن » بناء عن مقابلته الجن : للانسان . .
والملك والحيوان . . وطالما الانسان : ناطق ، مائت (أى يجوز عليه
الموت) . . والملك ناطق ، غير مائت (أى لا يجوز عليه الموت) . .
والحيوان : غير ناطق ، مائت فالجن « المتقابل لهذه الثلاثة طبعا : غير
ناطق ، وغير مائت (أى لا يجوز عليه الموت) .

فالجن يخالف الملك بأنه غير ناطق ، ويشترك معه فى أنه لا يجوز
عليه الموت فهل هذا هو واقع أمره ؟ أم أنه فقط منطوق القسمة العقلية
بين الأنواع الأربعة من الموجودات التى جعلها متقابلة .

ثم فى نهاية النص المنقول عنه هنا : يستدل على أن الجن غير مائت
بقول الله تعالى : « قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون » قال فانك من
المنظرين « . . فهل هذا النص القرآنى فى الشيطان ، أم فى « الجن » ؟ .
وهل الفارابى يرى : « الجن » . . و « الشيطان » : موجودا واحدا . .

ان الفارابى غلب عليه « تغليب » القسمة العقلية المجردة ، على
الواقع أو على اتجاه القرآن فى تحديد المفاهيم الأربعة التى جاءت فيه .
وهى : الانس . . والملك . . والجن . . والشيطان . ولم تكن البهائم من
بين هذه المفاهيم .

وإذا اطلق الانس على المعهود ، فالجن يطلق على المسنخنى أو غير المعهود . وما ورد في قول الله تعالى : « قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشد فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا » (١) • • يشير الى ماجاء في سورة الاحقاف في قول الله تعالى :

« واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى الأمر ولوا الى قومهم هنثرين • •

قالوا • • يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق ، والى طريق مستقيم • يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به » (٢) • •

وما جاء في هذه الآيات الثلاث يتعلق ببعض المشركين الذين قدموا من يثرب الى مكة في موسم الحج ، ويجاورون اليهود هناك وسمعوا عن دعوة الرسول بمكة فذهبوا اليه واستمعوا الى القرآن وآمنوا به ، ثم عادوا الى يثرب مؤمنين غير مشركين يدعون الى الاسلام . وهؤلاء كاكثروا نواة « الأنصار » في يثرب هاجر اليهم مناصرين لدينه ومبايعين له على المحافظة على حياته بينهم . وسماهم القرآن في قوله « نفرا من الجن » • • يقصد أنهم غير معهودين اليه عليه السلام اذ لم يكونوا مقيمين في مكة ومترددن عليه ، كما كان يفعل المكيون .

فمفهوم « الجن » — وهو غير المعهود — يطلق على الانس ، وعلى الملك على السواء . وليست له حقيقة مستقلة عنهما .

(٢) الاحقاف : ٢٩ — ٣١

(١) الجن : ١ ، ٢

والشيطان ، وهو ابليس ملك ، من الملائكة كما جاء في قوله
عـالى :

« ولقد خلقناكم (اى خلقنا الناس) ثم صورناكم ، ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم

فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين .

قال (اى الله) ما منعك الا تسجد اذ امرتك ؟ (وقد امره
ضمن الملائكة : اسجدوا لآدم) ،

قال (اى ابليس) انا خير منه خاقتنى من نار ، وخلقته من
طين « (١) » . .

فابليس ملك . ولا تتغير طبيعته بسبب العصيان . كما لا يتغير
بالانسان فى طبيعته بسبب الكفر وعدم الايمان بالله .

والشياطين — بالجمع — هم الاشرار من الناس . وهم اولاد ابليس
باليولاء . وليس بالنسب . فابليس كملك لا ينسل ، ولا يموت . وتكثر
الشياطين بانغواية والخضوع للشهوة والهوى ، وليس بالولادة والنسل .

فلم يكن شرح الفارابى « للجن » : متلائما مع القرآن ، ولا موضحا
لحقيقة غيبية توضيحا مقنعا . بل كان اضافة الى تعقيد وتليبس سبقته
به الخرافات والكهانة قبل الاسلام من أن الجن عفريت يأتى بخارق

(١) الأعراف : ١١ ، ١٢

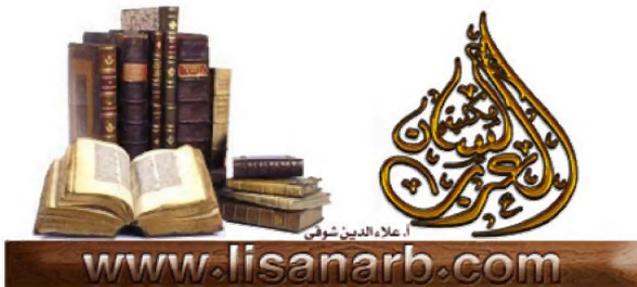
الأعمال ويزود الكهان بعلم الغيب بصعوده الى السماء الدنيا وتصنفته
لحديث الملائكة : « وانا كنا نقعد مقاعد للمسمع » (١) ..

* * *

ان الدراسة الموضوعية هي دائما الاسلوب الذى يكشف عن الحق
والباطل في ذاته . والامالة باى موضوع الى موضوع آخر في البحث
ان لم يوقع الباحث في اخطاء ، فيتركه على الاقل في لبس وابهام .
والتوفيق بين الفلسفة والدين صورة من هذه الامالة التى توصل الى
اللبس والابهام ، على الاقل .

... والله المستعان .. وهو الموفق للصواب

* * *



محتويات الكتاب

الصفحة

٣	-	مقدمة
٦	-	اسلوب الفارابى فى التوفيق
٧	-	فى مشكلة الوجود
٩	-	فى الدليل على وجود الله
١٢	-	فى خلق الله للعالم
١٩	-	فى مهمة الانسان فى الحياة
٢١	-	شرح الفارابى للتبوة
٢٤	-	للوحى
٢٨	-	للقضاء والتدر
٢٩	-	السراى
٣٥	-	محتويات الكتاب

رقم الايداع — ٢٨٥٤ / ٨١

الترقيم الدولى — ١٤ — ٧٣٣٥ — ٦٧٧